ثلاثون عاما
مع الشعر والشعراء

الطبعـــــــــة الأولي ١٩٩٢
جميـــع الحقـــوق محفوظة c
دار ســـعاد الصـباح
ص . ب : ٢٧٢٨٠
الصفاة ١٣١٣٣ - الكـــويت
ص . ب : ١٣ المقطم - القاهرة

رقم الايداع
٩٢ / ٣٨٩٥
I.S. B. N
977 - 07 - 0777 - 8

الغـــلاف بريشـــة
الفنان حلمى التونى

د

دراسات

ثلاثون عاما
مع الشعر والشعراء

رجاء النقاش

دار سعاد الصباح

الإهـــداء

إلى زوجتى ..

الدكتورة هانية عمر ..

حبا واعتـرافا بالجـميل ..

رجاء النقاش

مقدمة

يضم هذا الكتاب معظم الفصول التى كتبتها عن الشعر والشعراء منذ أواخر الخمسينات حتى أواخر الثمانينات ، والكتاب بذلك يمثل رحلة أدبية امتدت ثلاثين عاما متصلة ، ولأنها رحلة طويلة فقد تنوعت فيها الأفكار والآراء والتجارب ، فما من رحلة بهذا الامتداد يمكن أن تنتهى عند « محطة » واحدة أو « منظر » واحد ، وهكذا كان الأمر بالنسبة لى ، فقد وقفت أحيانا أمام حياة بعض الشعراء ، أحاول أن أعرف شيئا عما كان فى هذه الحياة من تفاصيل وأسرار ، ووقفت أحيانا أخرى أمام بعض القصائد أحاول أن أقترب منها بالتفسير والتحليل ، ووقفت مرة ثالثة أمام بعض الظروف التى مرت بشاعر أو أحاطت بقصيدة ، ومرة رابعة كنت أحاول البحث فى بعض القضايا الفكرية الأساسية التى تتصل بحركة شعرنا العربى المعاصر .

ومع ذلك ففى هذا الكتاب نوع من الوحدة ، وهى وحدة تنبع من شخصية مؤلفه ، وطريقته فى البحث والتفكير والتذوق ، وحدة تنبع من العصر الراهن الذى تدور حوله الدراسات والفصول المختلفة ، ولا أريد أن أتحدث كثيرا عن المنهج الذى التزمت به فى هذا الكتاب ، وأفضل أن يقوم القارئ نفسه بهذا النوع من التحديد ، بعد أن يشاركنى فى هذه الرحلة الطويلة مع الشعر والشعراء ، ويكفى أن أقول هنا إننى من الذين يؤمنون بما يمكن تسميته بالمنهج « الجمالى الإنسانى » ، أى أننى أبحث دائما فى الفن عن الجمال وأبحث عن الإنسان . والفن عندى لابد أن يكون ممتعا ومثيرا للفكر والشعور ، ولكن الجمال الفنى وحده لا يمكن أن يكون كاملا إلا إذا استطاع

التعبير عن الشخصية الإنسانية فى صراعها من أجل الحياة والسعادة والبحث عن معنى للوجود ، وكل ما ليس جميلا ، أو كان خاليا من التعبير الصادق عن الشخصية الإنسانية ، لا أتوقف أمامه ، ولا أجدنى قادرا على التعاطف معه أو البحث فيه . وإذا كان هذا المنهج يحدد ما أحبه ، فهو فى الوقت نفسه يحدد ما أرفضه ولا أرتضيه .

وفى فصول هذا الكتاب ما يكشف عن بعض ما أحبه وبعض ما أرفضه ، فى مجال الفن والجمال والمواقف الإنسانية المختلفة .

ولست من الذين يحبون أن يفرضوا آراءهم أو ذوقهم على الآخرين ، فأنا شديد الإيمان بأن عالم الأدب واسع وعريض ، وأنه يقوم على التنوع الشديد ، ولذلك فأنا لا أتردد فى الاختلاف مع الآخرين ولا أضيق باختلافهم معى ، فكل رأى هو اجتهاد ، وكل اجتهاد هو بحث عن الحقيقة ، أما الوصول إلى « القول الفصل » أو الحقيقة النهائية فهو أمر متروك للزمن والتاريخ والجمهور ، وقد ساعدنى هذا الإيمان بضرورة الاختلاف فى الرأى والذوق على التعبير عن أفكارى بوضوح وصراحة ، وساعدنى على أن أختلف حيث وجدت سببا يبرر الاختلاف من وجهة نظرى ، وأن أتفق حيث وجدت ما يدعونى إلى مثل هذا الاتفاق ، كل ذلك دون أن أنتظر إجماعا حول رأى أو موقف ، فالأدب وجه من وجوه الحرية ، والحرية تقتضى التنوع والاختلاف ، وليس من الصواب أن نطلب فى الأدب رأيا واحدا ، يؤمن به الجميع راضين أو كارهين ، فهذا نوع من الاستبداد ، وأنا أكره الاستبداد فى كل صوره لأنه تجميد للعقل والوجدان ، لا يليق بكرامة الإنسان .

ومهما كان ما قد يثيره هذا الكتاب من آراء مؤيدة أو معارضة ، فإن ذلك لن يبعث فى نفسى إلا شعورا بالرضا ، لأننى لا أريد من هذا الكتاب إلا أن يكون صورة حقيقية لما أراه وأومن به ، مع اقتناعى العميق بأن ما قد أراه حقا قد يراه غيرى باطل الأباطيل .

وأخيرا فلابد أن أقول فى هذه المقدمة القصيرة إننى أحب الشعر ، وأراه أجمل الفنون وأرقاها ، بل أراه جوهرا للأدب كله ، ولذلك فإننى كثيرا ما

أبحث عن الشعر حتى فى فنون الأدب النثرية مثل : الرواية والقصة والمسرحية والمقالة . فالشعر هو بالدرجة الأولى روح تترقرق كالنسيم فى كل فن جميل ، والحياة كما أتصورها لا تستقيم بغير شعر وروح شعرية . بل إن المجتمع نفسه لا يمكن أن يكون سعيدا ومستقرا دون أن يكون للشعر فيه مكان أصيل ، وأنا شديد الإيمان بما قاله الأديب الفرنسى الكبير « أندريه جيد » يوما من أنه « إذا ظهر فى أى بلد شعراء مجيدون ، وإذا أحب هذا البلد قراءة الشعر ، فاعلم أن النظام السياسى هناك صالح قويم ، أما إذا خلا البلد من الشعراء النوابغ ، أو عزف هذا البلد عن قراءة الشعر والتغنى به ، فاعلم أن النظام السياسى هناك نظام فاسد ومعوج ، وفى البلد الأول الذى يحب الشعر ويرعاه قلما تقوم الثورات ، وفى البلد الآخر الذى يكره الشعر وينفر منه قلما يهدأ الناس أو يرضون عن حياتهم » .

فلتكن رحلة هذا الكتاب مع الشعر والشعراء دعوة متواضعة من أجل إشاعة الحب للشعر والاهتمام به فى حياتنا العربية ، حيث كان الشعر أول الفنون وأباها الذى منه جاءت وإليه تعود .

إننا نعيش الآن فى عصر ترتفع فيه أصوات صاخبة تريد أن تقتل فينا الشعر وروح الشعر ،

ولابد لنا أن نقاوم بقدر ما نستطيع حتى يبقى الشعر ، ويبقى له فى حياتنا نور ، ولمسة حنون ، ودفء جميل .

رجاء النقاش

أحمد شوقى
فى مرآة سكرتيره

ظاهرة واضحة من ظواهر التناقض فى مجتمعنا العربى ، تلك التى تتصل بموقفنا من الحياة الخاصة ، فنحن فى الحياة العملية الواقعية نبدو من أكثر شعوب الأرض فضولا وثرثرة وحبا لمعرفة الأخبار الشخصية للآخرين والحديث عنها ، وهذا الأمر يعتبر عيبا من العيوب الحضارية والاجتماعية التى نعانى منها جميعا ، والتى تؤثر فى قدرتنا على الإنتاج وعلاقاتنا الإنسانية ، ورغم هذا العيب الغريب الذى ينتشر فى حياتنا الواقعية ، فإننا نعانى – على العكس – من تحفظ شديد وحرص بالغ فى الحديث عن حياة الأدباء والتعرف على أسرار هذه الحياة .

والفضول فى الحياة الواقعية اليومية ليس له نتيجة سوى تحريك الغرائز الفردية من غرور وحسد ورغبة فى المنافسة والتغلب على الآخرين ، بينما يفيد الفضول فى الحياة الأدبية ويثمر كثيرا من النتائج الإيجابية ، ذلك لأنه يساعدنا على فهم إنتاج الأدباء والمفكرين ويساعدنا على المعرفة الصحيحة لحياة هؤلاء الذين يلعبون دور القيادة فى حياتنا العامة .

وكما نتعلم من فكر الكاتب وأدبه ، فنحن نتعلم من حياته أيضا ، وليس معنى ذلك أن كل حياة الأدباء والمفكرين هى حياة مثالية وأخلاقية نظيفة ، بل على العكس ، فإن هناك من يعيشون حياة مليئة بالخطأ والانحراف . ونحن نذكر مثلا حياة الفنان الإنجليزى « أوسكار وايلد » ، لقد مرت هذ الحياة بمرحلة من الانحراف الأخلاقى ، أدت بصاحبها إلى السجن ، وقد سجل الكاتب نفسه هذه « التجربة » فى كتابه المشهور « من الأعماق » ، ونحن

عندما نقرأ هذا الكتاب ، ونستعرض شريط الآثام التى ارتكبها « أوسكار وايلد» ، نخرج من ذلك بأثر وجدانى وعقلى عميق ضد هذا النوع من الانحراف ، وكأن « أوسكار وايلد » كان يعرى نفسه أمام المجتمع الإنسانى ، لكى يعرف هذا المجتمع آثار الانحراف والسلوك الشاذ ، ولكى يتجنب الناس هذا النوع من السلوك ، وهذا النوع من المصير ، بل إن « أوسكار وايلد » نفسه يسجل فى كتابه لونا حادا من ألوان « الاعتراض الذاتى » على سلوكه الخاطئ الذى انغمس فيه ، ويشرح آثار هذا السلوك الشائن على نفسه وجسمه ، ويكشف أمامنا ذلك الدمار الذى تعرضت له روحه وشخصيته بصراحة وأمانة .

فالمعرفة الدقيقة بحياة الأدباء وغيرهم من الرجال البارزين تعتبر إضافة صادقة إلى تراث الإنسانية فى التجربة والبحث ، وتعتبر ثروة تضاف إلى العقل البشرى ، يستفيد منها كل الفائدة ، ويحدد من خلالها أفضل صورة للحياة كما ينبغى أن يعيشها الإنسان .

ومن هنا فنحن نجد أن أدب الاعترافات قد ازدهر فى الغرب ، وذلك لأن المجتمع الغربى لا يحرق الذين يعترفون بخطاياهم ، بل يدرسهم ويحاول أن يستفيد منهم ومن النتائج التى انتهوا إليها فى حياتهم وتجاربهم ، وهذا هو ما نجده فى « اعترافات روسو » و « اعترافات أندريه جيد » و « اعترافات تولستوى » وغيرهم من الكتاب الأوروبيين اللامعين الذين كتبوا عن حياتهم بصدق وأمانة وبلا خجل أو خوف ، ولم يخشوا أبدا من تلك الاعترافات الصريحة الصادقة ، فكشفوها أمام الناس وقدموا لها تحليلا هو غاية الأمانة والدقة .

وهناك لون آخر من الأدب ازدهر فى الغرب ، ذلك هو أن يكتب الذين كانوا على صلة مع الأدباء والمفكرين - بحكم القرابة والصداقة والحب - تجاربهم وذكرياتهم ، وهناك ألوان متعددة من هذه الكتابات ، تبدأ بالكتابة عن الحياة اليومية الشخصية للفنان أو المفكر ، ومن هذا النوع كتاب عن الشاعر الإنجليزى الكبير « بيرون » واسم الكتاب هو « تصفية حسابات بيرون » للكاتبة